

نادى التجارة

التزينة الحلقية في الفنون الإسلامية

المحاضرة التي ألقاها الأستاذ حسن كامل اللطوى بدار نادى التجارة  
مساء السبت ١٢ رمضان سنة ١٣٨٩ هـ الموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم  
التربية الخلقية فى القرآن الكريم

الحمد لله المستغنى بنفسه عن خلقه والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أرسله ربه رحمه للعالمين ، وجعله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ، ورضى الله تبارك وتعالى عن آله الكرام البررة وأصحابه الأتقياء الأوفياء الذين تخلفوا بخلقهم صلى الله عليه وسلم عن معرفة بقدره وتقدير لفضله ، مستنيرين فى ذلك بكتاب الله العزيز الذى شهد له بالخلق العظيم فى قوله الكريم : ( وإنك لعلى خلق عظيم ) ، ورحم الله أسلافنا الصالحين الذى تشبهوا بهم فى ذلك المضمار ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وشكر الله لشيوخنا الآجلاء حسن صنيعهم فى إرشادنا وتوجيهنا إلى طريق القوم بالمقال والفعال والحال ابتغاء وجه الله تعالى وهم : ساداتنا لأقربون سيدى صاحب طريقتنا الخليلية الغوث الحاج محمد أبو خليل ساكن ضريحه الزكى بالزقازيق ، وخليفته سيدى القطب الشيخ عبد السلام الحلوانى ساكن ضريحه المنير بالقاهرة ، سيدى القطب الشيخ على عقل ساكن ضريحه المبارك بالإسكندرية ، أما بعد .

الأخلاق النبوية :

فقد سئلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها ، كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت وهى الفقيهه الحجة ، الذكية العبقرية

الألمعية، التي لم تنجب أمة مثلها في العلم : كان خلقه القرآن ، أى أنه تأدب بأدب القرآن والتزمه ولم يتجاوز حدوده ، وما أروع من قول سديد ، فقد أجملت خلقه العظيم صلى الله عليه وسلم في كلمة واحدة تضيق في تفصيلها الكلمات ، وتحتاج في استيعابها إلى المجلدات .

وسأحاول في محاضرتي هذه أن أكشف لكم ، ما وسعنى جهدى الضعيف ، بعض الخطوط في جوانب تلك الجامعة ، ولعلى أعود إلى غيرها في محاضرات لاحقة إن شاء الله ، فأقول ومنه سبحانه العون والتوفيق .

### الإسلام والأخلاق :

إن الدين خلق ، فمن زاد عليك في خلقه فقد زاد عليك في دينه ، وقد عرف السادة الصوفية التصوف ، فقال الدخول في كل خلق سنن والخروج من كل خلق دنى ، والأخلاق الكريمة لها طرفان ، طرف في جنب الله تعالى ، وطرف في جنب الناس ، والطرف الأول هو الأساس الذى يقوم عليه الطرف الثانى ، لأن حسن معاملة الله يؤدي حتما إلى حسن معاملة الناس لرب الناس سبحانه .

وأساس الإيمان هو الشهادتان الثابتتان : ( لا إله إلا الله محمد رسول الله ) وهاتان الشهادتان هما دعامة الإسلام الذى ارتضاه الله ديناً

لعباده ، فقد قال تعالى : ( إن الدين عند الله الإسلام )<sup>(١)</sup> كما قال تعالى ( ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين )<sup>(٢)</sup> وأول ما نزل من القرآن الكريم هو قوله تعالى : ( اقرأ باسم ربك الذي خلق \* خلق الإنسان من علق \* اقرأ وربك الأكرم \* الذي علم بالقلم \* علم الإنسان ما لم يعلم )<sup>(٣)</sup> .

وهو توجيه من الله تعالى يعلمنا به أن نركن إليه في علمنا وعملنا ، لأنه سبحانه خالقنا ومعلمنا ما لم نكن نعلم ، ولولا تعليمه ما كان علمنا ، ولولا علمنا ما كان عملنا .  
وكما علمنا سبحانه أن حياتنا منه ، علمنا كذلك أن مماتنا منه ، فهو خالق الحياة وخالق الموت ، وكشف لنا عن حكمته في الحياة والموت فقال تعالى : ( تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير \* الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور )<sup>(٤)</sup> .

#### حكمة وجودنا :

وبين لنا سبحانه ما هو العمل الذي يريده منا في حياتنا فقال تعالى :

---

(١) آية ١٩ من سورة آل عمران .  
(٢) آية ٨٥ من سورة آل عمران .  
(٣) الآيات من ١-٥ من سورة العلق .  
(٤) الأيتان ١ و ٢ من سورة الملك .

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون \* ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون \* إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (١) قال ابن عباس فى معناها الا ليعرفون .

### الروح :

وبالحياة والموت دلنا الله تعالى على سر عظيم ركبه فى اجسادنا ولا نراه بأعيننا إنما نشهد آثاره فىنا ، ففى وجوده نتحرك ونفكر وندير ، وبخروجه من أجسادنا فى النوم أو الموت تهمد أعضاؤنا فلا حركة ولا تفكير ولا تدبير ، وذلك السر هو الروح ، والروح من أمر الله .  
وجعل سبحانه نومنا مذكرا بموتنا عند انتهاء الأجل ، وجعل يقظتنا بعد النوم مذكرة ببعثنا بعد الموت ، مظهرا بذلك للعيان قدرته علينا وسلطانه فىنا فقال تعالى : ( الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فىمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) (٢) .

ومن ذلك آمنة بالروح غيباً دون أن نراها ، وهذا ما يسهل لنا الاستمساك بما اعتقدناه من وجود الله بالغيب ودون أن نراه بالأعين ، والإيمان به بالغيب يتبعه الإيمان بسائر الغيبات من البعث والجنة والنار والثواب

(١) الآيات من ٥٦ - ٥٨ من سورة الذاريات .

(٢) الآية ٤٢ من سورة الزمر .

والعقاب ، ولذلك وجهنا سبحانه إلى التفكير فى انفسنا وجعل ذلك التفكير مدخلا للإيمان فقال تعالى : ( وفى أنفسكم أفلا تبصرون ) .

#### الطيبات والخبائث :

وكما خلقنا الله سبحانه خلق لنا أسباب الحياة وأحل لنا الطيبات وهى لا تعد ولا تحصى ، وحرم علينا الخبائث وهى قليلة جدا إذا قيست بالطيبات فقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون \* إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم )<sup>(٤)</sup> وذلك من اختباره التى يميز بها المطيع من المعاصى والمحسن من السئ .

#### كفالة الرزق :

ولئلا يشغلنا الرزق والسعى فيه عن معرفة الرزق ضمن لنا سبحانه أرزاقنا كما ضمنها لسائر دواب الأرض فقال تعالى : ( وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين )<sup>(٢)</sup> ومن ذلك تعلم أن الرزق المقدر لأحدنا لا يعطى لسواه ، فلا محل إذن لأن يحسد بعضنا بعضاً ما آتاه الله من الرزق بأنواعه من المال والبنين والجماء والعلم وغير ذلك .

#### إرسال لرسول :

(٤) الآيتان ١٧٢ و ١٧٣ من سورة البقرة .

(٢) آية ٦ من سورة هود

ولتيسير الأمر على العباد فى معرفة ربهم والإيمان وبسائر الإيمانيات الغيبية أرسل لهم سبحانه الرسل الكرام فدلّوهم عليه تعالى وبينوا لهم سبل الوصول لمعرفته بالقول والفعل والحال لئلا يكون على الله حجه بعد الرسل ، وختم الرسالات السماوية بالرسالة المحمدية ، فكانت أشمل الرسالات وأوسعها لأنها جاءت للناس كافة بعد أن كانت الرسالات قبله إقليمية أو قومية محدودة ، ويقول سبحانه وتعالى فى عمومية الرسالة المحمدية ( قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأسمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون )<sup>(١)</sup> فلم يبق لمتخلف عذر فى تخلفه عن ربه ، فقد عرفه الله أن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هو سبيل الاهتداء ، وقد أيدا الله الرسالة المحمدية بالقرآن الكريم وهو أعظم المعجزات وأبقاها على الزمن ، وقد تحدى به الإنس والجن بالعجز دائم على رسالته صلى الله عليه وسلم لهم وللمن جاءوا من بعدهم إلى يوم القيامة .

القرآن الكريم وأثره :

---

(١) آية ١٥٨ من سورة الأعراف .

ويقدر مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل ربه عليه في معجزة القرآن الكريم فيقول صلوات الله عليه وعلى آله ( ما من الأنبياء نبي إلا أوتى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ) ، وقد بلغنا صلى الله عليه وسلم القرآن كما أنزل إليه ، وفصل لنا في سنته ما أجمل القرآن من الأحكام . وبفضل القرآن الكريم كانت أمته أكبر الأمم وأعظمها شرفاً ، وقد بين سبحانه أن الأمة المحمدية تميزت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله )<sup>(١)</sup> .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إنما كان في هذه الأمة لتقويم الأخلاق على منهج الدين الحنيف حتى يتشبه المؤمن في أخلاقه برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغ في خلقه الغاية التي أحبها الله منه وأثنى عليه بها في قوله الكريم (وإنك لعلی خلق عظیم)<sup>(٢)</sup> ، وقد قيض الله للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أئمة في كل جيل حلاهم بمكارم الأخلاق النبوية ليكونوا قدوة لغيرهم.

#### أخلاق نبوية :

وكان من خلقه صلى الله عليه وسلم الحياء ، والسخاء ، والتوكل ، والرضا ، والذكر ، والشكر ، والحلم ، والصبر ، والعفو ، والصفح ، والرأفة ، والرحمة والمداراة ،

(١) آية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٢) آية ٤ من سورة القلم .



والنصيحة ، والسكينة ، والوقار ، والتواضع ، والافتقار ، والجود والسماحة ، والقوة ، والشجاعة ، والرفق ، والإخلاص ، والصدق ، والزهد ، والقناعة ، والخشوع ، والخشية ، والتعظيم ، والهيبة ، والدعاء ، والبكاء ، والخوف ، والرجاء ، والتهدج ، والعبادة ، والجهاد ، والمجاهدة ، وكل ذلك مما حض عليه القرآن الكريم ودعا إليه .

وصاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى ، وقد من الله به علينا لنترسم خطاه إذ يقول سبحانه : ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين )<sup>(١)</sup> .

وقد تخلق الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم بالأخلاق المثلى التى وجهه إليها الله تعالى فى القرآن المجيد ، فوجب علينا أن نقرأ القرآن ونتدبره ونعمل به كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ومن والاهم بإحسان ، فاهتدوا بنوره إلى الصراط المستقيم مصداقا لقوله تعالى : ( قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين \* يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم )<sup>(٢)</sup> . ولقوله سبحانه ( إن هذ القرآن يهدى للتى هى أقوم

(١) آية ٢٦٤ من سورة آل عمران .

(٢) آية ١٥ ، ١٦ من سورة المائدة .

ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً \* وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعدنا لهم عذاباً أليماً<sup>(١)</sup> ، وقد بين سبحانه كيفية تدبره والتأثر به فقال تعالى : ( الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ومن يضل الله فما له من هاد )<sup>(٢)</sup> .

وقد بين القرآن الكريم للناس بجلاء ما سيكون يوم القيامة فقال تعالى ( يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم \* فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره \* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره )<sup>(٣)</sup> .

كما بين القرآن أن الاقتداء بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو سبيل محبته تعالى ومغفرته للمؤمن فقال ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويعفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم )<sup>(٤)</sup> .

وقد احب مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بكلياته وجزئياته وآثره على كل شيء فلم يركن إلى دنيا فانية ، بل بذل أقصى جهده للآخرة لعلمه أننا خلقنا للآخرة لا للأولى ، وأن دنيانا هذه ممر وليست بمقر ، وعلمنا بمسلكه كيف نأخذ من ممرنا لمقرنا ، ويقول العارفون : إذا كان سيد العالمين وأمير الأنبياء والمرسلين مع عصمته من الذنوب أمره الله بالركوع والسجود ، فكيف يطمع في الوصول من

(١) الأيتان ٩ ، ١٠ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٢٣ من سورة الزمر .

(٣) الآيات من ٦ - ٨ من سورة الزلزلة .

(٤) آية ٣١ من سورة آل عمران .

ليس له محصول ، وهم يشيرون بقولهم هذا إلى قوله تعالى : ( أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً \* ومن الليل فتهد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً )<sup>(١)</sup> .

### القواطع :

ويقول العارفون إن أعداء المؤمن التي تقطعه عن ربه أربعة : النفس والشيطان والدنيا والناس ، والقرآن الكريم يبصرنا وحذرننا من تلك القواطع الأربعة .

فقال تعالى في النفس : ( قد أفلح من زكاها \* وقد خاب من دساها ) وقال في الشيطان : ( إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير )<sup>(٢)</sup> .  
وقال في الدنيا : ( تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم )<sup>(٣)</sup>

(١) الآيتان ٨٧ ، ٧٩ من الإسراء .

(٢) آية ٦ من سورة فاطر .

(٣) الآية ٦٧ من سورة الأنفال .

وقال فى الناس قوله الفصل : ( يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن والده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور )<sup>(١)</sup> .

#### مآل المؤمنين والكافرين :

ويحكى القرآن الكريم ما يكون من مآل المؤمنين والكافرين يوم القيامة فيقول سبحانه : ( فإذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون \* فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون \* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون \* تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون \* ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون \* قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين \* ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون \* قال اخسئوا فيها ولا تكلمون \* إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنة فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين \* فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون . إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفأزون )<sup>(٢)</sup> .

#### فاتحة الكتاب :

وليربينا القرآن على دوام ذكر الله تعالى واليوم الآخر ألزمتنا أن نقرأ

(١) آية ٣٣ من سورة لقمان .

(٢) الآيات من ١٠١ - ١١١ من سورة " المؤمنون "

فاتحة الكتاب فى كل ركعة من ركعات الصلاة ، ومنَّ بها سبحانه على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة ، كما من عليه بالقرآن الكريم بصفة عامة فقال تعالى : ( ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم )<sup>(١)</sup> والسبع المثانى هى الفاتحة لأنها سبع آيات بينات وتثنى فى كل ركعة .

ويبين لنا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل سورة الفاتحة ، وهى السبع المثانى ، فى الحديث الشريف الذى رواه الإمام الترمذى عن أبى هريره رضى الله عنه ، ونص الحديث : ( خرج رسول الله على أبى بن كعب فقال يا أبى وهو يصلى ، فالتفت أبى فلم يجبه ، وصلى أبى فخفف ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعليك السلام ، ما منعك يا أبى أن تجيبنى إذ دعوتك ؟ فقال : يا رسول الله انى كنت فى الصلاة ، قال فلم تجد فيما أوحى إلى أن : ( استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ) ؟ قال : بلى ، ولا أعود إن شاء الله ، قال : أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا الفرقان مثلها ؟ قال نعم يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تقرأ فى الصلاة ؟ قال فقرأ أم القرآن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ما أنزل

الله فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى القرآن مثلها ، وإنما سبع من المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيته ) .

---

(١) آية ٨ من سورة الحجر

ولاتعجب أن يكون لسورة الفاتحة هذا الشأن الذى كشف عنه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنها بدأت بحمد الله والثناء عليه وتمجيده وتوحيده فى العبادة وإفراده فى الاستعانة ، وذكرتنا بيوم الدين ، يوم الجزاء ، وعلمتنا أن نطلب من ربنا دوام الهداية للصراف المستقيم ، وهو الصراف الذى سلكه إليه عباده المتقون وهم الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

ففى قولك (الحمد لله رب العالمين ) إقرار منك أنه سبحانه وحده هو المحمود بكل نعمة ظهرت لك أو خفيت عليك ، وإقرار بربوبيته على خلقه فهو رب النعم كلها ورب الناس وهم المرهبون ، وهو الخالق وهم المخلوقون ، وهو الرزاق وهم المرزوقون ، وهو المحى وهم الموجودون من عدم ، وهو المميت وهم الميتون من وجود ، وهو الباعث وهم المبعوثون ، وهكذا ، لهذا يقول السادة الصوفية : من عرف نفسه فقد عرف ربه ، كما يقولون : لو أن سائلا سأله سبحانه : لم اختلفت بالحمد وحدك لقال : لأنى رب العالمين أوجدتهم برحمتى ، وأمددتهم بنعمتى ، فلا منعم غيرى ، فاستحققت الحمد وحدى ، منى كان الإيجاد ، وعلى توالى الإمداد ، فأنا مالك أمر العباد . وفى قولك ( الرحمن الرحيم ) إقرار برحمته لك فى الدنيا والآخرة ،

وبفضل رحمته تقلبت في نعمه الظاهرة والباطنة ، فهو سبحانه الرحمن بنعمة الإيجاد والرحيم بنعمة الإمداد .

وفي قولك (( مالك يوم الدين )) اقرار بانفراده بملكية يوم الدين ، لئلا يتوهم متوهم أن العباد يملكون شيئاً مما ملكهم الله في الدنيا فانخدعوا في دنياهم بملكيتهم الموقوتة ، والتي لم تكن من عند أنفسهم ، بل كانت من عطائه وإحسانه ، ويوم الدين هو يوم الجزاء الذي ينظر فيه المرء ما قدمت يداه فيلقى المحسن ثوابه ويلقى المسئ عقابه .

وفي قولك ( إياك نعبد وإياك نستعين ) إقرار بأنه هو وحده المستحق العبادة ، فكل عبادة لغيره باطلة ، وكذلك إقرار بأنه هو وحده المعين الذي نستمد منه العون ، إذا لا حول ولا قوة لنا إلا به جل جلاله ، فوجب أن نستمد منه العون في إداء العبادات ، والطاعات والكف عن المعاصي والشهوات ، ويقول السادة الصوفية إياك نعبد شريعة ، وإياك نستعين حقيقة ، إياك نعبد عبادة ، وإياك نستعين عبودية ، إياك نعبد اسلاماً ، وإياك نستعين إحساناً ، العمل لله قيام بإحكام الظواهر ، والعمل بالله قيام بإصلاح الضمائر ، كما يقولون إن القارئ يتكلم بلغه الجمع فيها وإن كان يصلى أو يقرأ وحده ليندمج في جماعة المؤمنين من الإنس والجن والملائكة فيتكلم بلسان الجميع .

وفي قولك ( اهدنا الصراط المستقيم ) إقرار بأنه وحده مالك الهدى

والضلال ، يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، فلا يهتدى إليه أحد إلا بإذنه ، ولا يضل أحد إلا بمشيئته ؛ وإذن لا يجوز أن يمن أحدنا على الله بإيمانه أو طاعته ، وحقا ما يقول الله تعالى : ( من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا )<sup>(١)</sup> فأنت إنما تطلب الطريق إليه بمعونة منه وهي البصيرة التي تذكرك بالآخرة ، وقد سئل الامام الصوفى سهل التستري ، أليس قد هدانا الله إلى الصراط المستقيم ، فلماذا نقول اهدنا الصراط المستقيم ، فقال بلى ولكننا نطلب الزيادة ألسنت تراه تعالى يقول ( ولدينا مزيد ) وقال بعض العلماء : إننا نطلب بذلك دوام الهداية .

وفى قولك ( صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) إقرار بأن الإيمان بالله هو نعمة الله الكبرى لعباده المكرمين وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقاً ، لأن الإيمان وما يتعلق به من فعل الطاعات وترك السيئات هو الصراط المستقيم ، وفى طلبك اللحاق بالصالحين فرار من أعداء الله الذين فاتهم ركب الإسلام فغضب الله عليهم وضلوا سواء السبيل ، فهم مطرودون عن باب العبودية ، وقد حذر الله عصاة المسلمين الذين يغفلون عن الله بالحظوظ والشهوات ولم يتوبوا عن المعاصى والمخالفات فقال تعالى ( واتقوا النار التى أعدت للكافرين \* وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون )<sup>(٢)</sup> .

#### الإيمان درجات :

(١) آية ٧ من سورة الكهف  
(٢) الأيتان ١٣١ ، ١٣٢ من سورة آل عمران .



هذا ويتفاوت الناس فى درجات الخلق بتفاوت العمق فى معرفه الله والفهم عنه تعالى ، ومن هنا قالوا عن السابق بالخيرات من المؤمنين أنه واصل ، وليس بينك وبين الله مسافة تطويها لتصل إليه ، إنما هو الوصول لحالة تشهد فيها أنه لا فاعل إلا الله وهى معرفة مذاق بوجدان وإحساس وبقدر عمقك فى الفهم الوجدانى يكون وصولك ، لذلك انقسم المؤمنون مع تساويهم فى العقيدة إلى عوام وخواص ، وخواص الخواص ، إذ يقول تعالى ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم متقصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله )<sup>(١)</sup> . فالعوام يهجرون القرآن أو يتدبرونه سطحياً فلا يصل إلى أعماقهم ، أما الخواص فإنهم يتدبرونه عن مذاق عميق ، فينظرون إلى باطن الدنيا حيث ينظر العوام إلى ظاهرها ، ويهمهم آجلها حيث يهم العوام عاجلها .

#### زينة الدنيا :

وقد امتحن الله للناس بزينة الحياة الدنيا بينما هم مخلوقون للآخرة ، فمنهم من تلهى بزينتها فتوقف عند أفق الدنيا الضيق ، ومنهم من تجاوزه إلى أفق الآخرة وهو الأفق الأعلى ( إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً \* وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرماً )<sup>(١)</sup> والصعيد الجرز هو الأرض التى قطعت نباتاتها فصارت جرداء بعد أن كانت مخضرة وهو ما يشير إلى فناء الدنيا .

(١) آية ٣٢ من سورة فاطر .

(١) الآيتان ٧ ، ٨ من سورة الكهف .

ومن هذا ندرك أننا حين نتقلب فى زينة الحياة الدنيا يجب أن نحذر من الافتتان بها ، فإن مادتها إلى فناء وانقطاع ، والآخرة خير لنا وأبقى ، وذلك ما ينبهنا إليه قوله تعالى : ( بل تؤثرون الحياة الدنيا \* والآخرة خير وأبقى )<sup>(٢)</sup> ويفصل ذلك فيقول تعالى : ( زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب \* قل أوبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد \* الذين يقولون ربنا إنا آ منا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار \* الصابرين والصادقين والقانتين والمستغفرين بالأسحار )<sup>(٣)</sup>

ويمثل سبحانه لسرعة فناء الدنيا فيقول ( واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرًا )<sup>(٤)</sup>

ويبين ما يفتن الناس من زينة الدنيا فيقول سبحانه (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا )<sup>(١)</sup> ويندرج فى الباقيات الصالحات الصلوات

(٢) الآيتان ١٦ ، ١٧ من سورة الاعلى .

(٣) الآيات من ١٤ - ١٧ من سورة آل عمران .

(٤) آية ٤٥ من سورة الكهف .

الخمسة وسائر الفرائض كما يندرج فيها سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وكذلك كل الكلام طيب من هذا القبيل يربطك بالله تعالى .

وفى حين حذرنا الله من زينه الدنيا الضارة أحل الله لنا زينها النافعة كما أحل الطيبات من الرزق فقال تعالى : ( يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين \* قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون \* قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون )<sup>(٢)</sup> .

إذا تدبرنا ما تقدم تدبراً كافياً نكون قد اتخذنا لأنفسنا درعاً واقياً نستطيع به أن نتقلب فى الدنيا ونحن آمنوا من شرورها ، ونكون صالحين لأن نتزود بدقائق الفهم التى توصلنا إلى الله تعالى وتحلينا بمكارم الأخلاق التى قامت من أجلها الرسالة المحمدية الشاملة إذ يقول صلى الله عليه وسلم ( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ) .

وقد لخص إمامنا الحسن البصرى رضى الله عنه الدين فى كلمتين حين سأله إمامنا على كرم الله وجهه : ما صلاح هذا الدين وما فساداه فقال يا أمير المؤمنين صلاحه الورع وفساده الطمع ، فأعجب بحسن جوابه على الرغم من صغرسنه إذ ذاك فقد كان فى نحو العشرين من

(٢) الآيات من ٣١ - ٣٣ من سورة الأعراف .

عمره، فقال له معجباً : تكلم فمثلك يصلح أن يتكلم مع الناس ، بينما أخرج أمير المؤمنين من مسجد الكوفة غيره ممن لم يرض كلامهم .

فالورع لا يكون إلا من طلاب الآخرة ، والطمع لا يكون إلا من طلاب الدنيا ، وبين الفريقين بون شاسع ، وهذا الميزان الدقيق الذى بينه إمامنا البصرى هو مخبار الأخلاق المنبئ عن قوة الأخلاق أو ضعفها ، وبه نستطيع أن نفرق بين الأتقياء وغيرهم فى العمل الواحد .

#### نية الجهاد :

ولتوضيح الأمر نفترض أن ثلاثة رجال أحدهم مؤمن يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، وثانيهما كافر يقاتل انتصاراً للكفر وأهله الذين لاهم لهم إلا الدنيا ومتاعها ، وثالثهم مؤمن يخشى أن يموت فى ساحة القتال ويرجو أن يموت على فراشه ، فانظر الصورة التى رسمها القرآن الكريم لهؤلاء الثلاثة ، يقول تعالى فى سورة النساء فى أولهم ( فليقاتل فى سبيل

الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً )<sup>(١)</sup>.

(١) آية ٧٤ من سورة النساء

ويقول فى المقارنة بينه وبين الثانى : ( الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً )<sup>(٢)</sup> ويقول فى وصف حال الثالث وتشجيعه على القتال فى سبيل الله وحماية للمستضعفين من الرجال والنساء والوالدان : ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون

فتيلاً \*

أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة)<sup>(٣)</sup> .

فالأول حملة ورعه على تفضيل الآخرة على الدنيا ، والثانى على عكسه وقف طمعه عند دنياه لأنها فى نظره كل شئ ، والثالث طمع فى الراحة وتفادى مشقات الجهاد فعلمه ربه أن البعد عن ساحه القتال ليس معناه

تفادى الموت لأن الموت يأتيه عند انتهاء الأجل ولو كان داخل حصن حصين ، فلا نامت أعين الجبناء ، وما أروع تشجيع القرآن للمجاهدين فى سبيل الله بالنفوس والمال فى قوله الكريم ( إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله

(٢) آية ٧٦ من سورة النساء .

(٣) آية ٧٧ و٧٨ من سورة النساء .

فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (١) .

قدمت التربية الخلقية فى القتال عن غيرها لأننا الآن أحوج ما نكون إليها ، فقد ديسست حرمة أوطاننا ، واعتدى الغاصب على مقدساتنا ، وأخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن نقول ربنا الله ، فوجب أن نحي فى نفوسنا عزة الإسلام ، بكلام الله ، لأنه أقدس الكلام وأصدقاه .  
وحدة المسلمين :

والمسلمون كلهم فى المشارق والمغرب مخاطبون بالقرآن ، لافرق بين عربهم وعجمهم ، والإسلام وطن واحد ، والمسلمون يد واحدة على من سواهم لإنهم أمة واحدة إذ يقول تعالى ( إن هذه أمتكم أمة واحدة وأناراكم فاعبدون ) (٢) .

ويرحم الله فيلسوف المسلمين السيد محمد إقبال إذ يقول فى وحدة الأمة الإسلامية فيما ترجمه عنه إلى العربية صديق العلامة الشيخ الصاوى شعلان :

الصين لنا والهند لنا	والعرب لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا ديناً	وجميع الكون لنا وطناً

(١) آية ١١١ من سورة التوبة

(٢) آية ٩٢ من سورة الأنبياء .

توحيد الله لنا نور  
أعدنا الروح له سكنا  
بنيت في الأرض معابدها  
والبیت الأول كعبتنا  
هو أول بيت نحفظه  
بحياة الروح ويحفظنا  
إن اسم محمد الهادي  
روح الآمال لنهضتنا

وإنى أصارحكم بأنه لو تخلق المسلمون بأخلاق الإسلام كما نطق بها القرآن الكريم وكما فصلتها السنة النبوية المطهرة ما صرنا أشتاتاً وقد تداعت علينا الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها كما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث له يقول فيه : يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها وعندما سئل : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال لا ، بل كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل .

ولو أن كل الدول الإسلامية نظرت فى الموقف الحاضر بعين الإسلام وحده لما ترددت واحدة منها بل ولا فرد من أفرادها فى المشاركة الفعلية فى معركتنا مع الأعداء الذين يتربصون بنا الدوائر ، وما أحوجنا اليوم إلى موقف الجد الذى يحتاج للتماسك فتكون بنياناً قوياً متراصاً بإحكام كما

وصف مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضها بعضا .  
أفلا يحركنا القرآن الكريم ببيانه المعجز حين يوبخ المتخلفين عن القتال ( يا ايها الذين آمنوا  
مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما

متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل \* إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضره شيئاً والله على كل شيء قدير (١).

أو حين يأمرنا بالجهاد ويبين لنا أنه لخيرنا ( انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير إن كنتم تعلمون ) (٢)

وإنى فى هذا المقام أتذكر كلمة حكيمة كنت أسمعها كثيراً من شيخى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل طيب الله ثراه وقد انتقل إلى رضوان الله فى ٢٤ مارس ١٩٤٨ ، فقد كان كلم تذاكرنا فى حال المسلمين فى زماننا يقول : نحن مسلمون بالجغرافيا ، فسألته رضى الله عما يقصد بهذه الكلمة فقال إننا لسنا مسلمين بالتربية الإسلامية الصحيحة وإنما نحن معتبرون مسلمين على الخريطة فى علم الجغرافيا ولسنا مسلمين بالفعل وإلا كنا يداً واحدة على أعدائنا كما يحب الله ورسوله وكما كان أسلافنا البواسل رحمهم الله رحمة واسعة .

القرآن والعلم :

ولندع ساحة القتال إلى ساحة العلم ، فقد عنى القرآن الكريم بالعلم أيما عناية ، وكفاك دليلاً على عنايته قوله تعالى لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وقل رب زدنى علماً ) (١) فمع

(١) الأيتان ١٨ ، ١٩ من سورة التوبة .

(٢) الآية ٤٠ من سورة التوبة .



أنه صلى الله عليه وسلم آتاه الله من العلم ما لم يؤتته غيره فإنه تعالى علمه أن يطلب المزيد من العلم لأن علم الله لا يتناهى .

ولكن ما هو العلم النافع الذى ينشد المؤمن الاستزادة منه ، إنه العلم الذى يرده إلى الحق وينظر به إلى باطن الدنيا ولا يقف به عند ظاهرها فيكون قد استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير .

ولتيسير فهم النقطة ، نفرض أن رجلا كافرا قام ليله ونهاره طالبا للعلم فحصل منه الشئ الكثير الذى خص به ولكنه لم يؤمن بالله ولا برسله ولا باليوم الآخر ، فعله لا ينفعه إلا فى دنياه وهى متاع قليل إذ لا تعدو حياته أن تكون عشرات من السنين ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا خالدا .

ونفرض أن رجلا آخر كان أقل منه تحصيلًا ، ولكن ما حصله من العلم زاده إيماناً بالله تعالى وعظيم قدرته ، فاستمسك بإيمانه بالله وبرسله وباليوم الآخر ، ولقى ربه فأثابه بإيمانه وأدخله جنه عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

---

<sup>١</sup> - آية ١١٤ من سورة طه .

فأى الرجلين أعلم ، أرجل وقف نظره عند علم فنى أثره بموته ثم لقي عذابه الخالد أو رجل لقي بعد موته أثر علمه فأسعده سعادة أبدية لا تفنى ولا تبيد ؟ لا شك أن الثانى أعلم من الأول خير العلم ما دام نفعه .

يجلى لنا كتاب الله الكريم هذا المعنى فى قوله تعالى : ( ويومئذ يفرح المؤمنون \* بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم \* وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون \* يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون \* أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينها إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بقاء ربهم لكافرون \* أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبه الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون \* ثم كان عاقبة الذين أساءوا السواى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون \* الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون \* ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون \* ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين \* ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون \* فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون \* وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون )<sup>(١)</sup>

وتستطرد الآيات بعد ذلك فى شد أفكار الكافرين إلى الإيمان من طريق العلم الذى يرون به آيات الله ظاهرة للعيان فيقول سبحانه : ( فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون \* وله

(١) الآيات من ٤ - ١٦ من سورة الروم

الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون \* يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون \* ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون \* ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزوجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون \* ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين \* ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضلة إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون \* ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون \* ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون \* وله من فى السموات والأرض كل له قانتون \* وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (١) . ويبين سبحانه بعد ذلك أن هوى نفوسهم هو الذى أضلهم

بغير علم فيقول تعالى ( بلى اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين ) (١) .

الإسلام دين الفطرة :

(١) الآيات من ١٧ - ٢٧ من سورة الروم

(١) الآية ٢٩ من سورة الروم .

ويدعو سبحانه عباده المؤمنين إلى الاستمساك بدينهم لأنه دين الفطرة التي فطر الناس عليها ، ولو ترك الكفار أنفسهم لسجيتها وفطرتها من غير أن يلابسهم هواها لاتبعوه ولكنهم اتبعوا أهواءهم بغير علم كما عبرت الآية السابقة - فيقول سبحانه ( فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) (٢) .

وإننا نحمد الله على أن كنا مؤمنين بفضل الله تعالى ورحمته ، ونعمة الإيمان بالله تعالى نعمة لا تعدلها أية نعمة مهما عظمت . وعلم الإنسان بالله وتوحيده هو العلم الحق الذى وجه الله إليه رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله) (٣) نسأل الله أن يلزمنا هذه الكلمة فهى كلمة التقوى ، وهى رأس المال العامل فمن حافظ عليها وأدى حقها رجا بها تجارة لن تبور .

ويعجب إمامنا على كرم الله وجهه من أهل الشك فى الله وفى اليوم الآخر، فيقول فى روعة من بيانه القوى :

عجبت لمن شك فى الله وهو يرى خلق الله ، وعجبت لمن شك فى الموت وهو يرى الموتى ،  
وعجبت لمن شك فى النشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبت لعامر دار الفناء وتارك  
دار البقاء .

(٢) الآية ٣٠ من سورة الروم .

(٣) الآية ١٩ من سورة محمد .

وأنتم ترون من كلماته العبقريّة هذه ، عجبه من أهل الشك مع وجود أدلة اليقين ، ولكنكم ترون منها أيضاً تعريضه بالمؤمنين الذين يعنون بعمارة الدنيا ولا يعنون بعمارة الآخرة .

### الدنيا والدين

إن القرآن الكريم رسم لنا صورة أسلافنا الصالحين وأرانا فيها كيف جمعوا بين الدنيا والدين ، فلم تلههم دنياهم عن أخراهم ولا أخراهم عن دنياهم فقال تعالى مثلا ( فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار \* ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب )<sup>(١)</sup> .

وترون من الآيات الكريمة السابقة أنه كانت لهم تجارة وبيع وشراء ولكنهم لم يتلهوا بها عن إقامة الصلاة ولم يبخلوا بإيتاء الزكاة فنجحوا فى كسب عيش الدنيا من حلال وعملوا لما بعد الموت وحسبوا ليوم القيامة حسابه فكأنهم قطعوا الدنيا إلى الآخرة وعابنوها ، والمسافات إلى الآخرة إنما تقطع بالقلوب والوجدان ، أما مسافات الدنيا فتقطع بالأقدام والأبدان .

### فضل الاستشهاد :

وكذلك وصف القرآن بطولتهم فى الجهاد مع ما تحملوه من مشقات المعارك السابقة وأرانا كيف يتنعم الشهيد بحياة الشهداء الخالدة فقال تعالى ( ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون \* فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بنعمة من الله

(١) الآيات ٣٦ - ٣٨ من سورة النور

وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين \* الذين استجابوا الله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم \* الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل \* فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم (١).

وأنت ترى من هذه الصورة بطولة الأبطال مع يقين الزهاد والعباد ، الذين يركنون إلى الله في الشدائد ، وكفى بربك وكيلاً .

#### حكم بالغة :

وانظر بعد ذلك كيف يربى القرآن المؤمنين في ساحة الحياة الدنيا ، واحرص على هذه الحكم البالغة ، وطبقها عملياً ، لتكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب .

يقول تعالى في تلك الحكم المتتابعة ، في روعة من بيان القرآن الكريم المعجز : ( لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً \* وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً \* واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً \* ربكم أعلم بما فى

(١) الآيات ١٦٩ - ١٧٤ من سورة آل عمران .

نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً \* وآت القريبى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً \* إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً \* وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً \* ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً \* إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً \* ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلتم كان خطأً كبيراً \* ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً \* ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل إنه كان منصوراً \* ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً \* وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً \* ولا تقف مالميس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً \* ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً \* كل ذلك

كان سيئه عند ربك مكروها ، ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً<sup>(١)</sup> .

وانظر كيف أوصاك تعالى مرة أخرى بالمخاطبين لك فى المجتمع من الجيران وأبناء السبيل والخدم والفقراء والضعفاء إذ يقول سبحانه ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً

(١) الآيات من ٢٣ - ٣٩ من سورة الإسراء .

وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً<sup>(٢)</sup> . وتعال معى إلى ما يدعونا إليه كتاب الله الكريم من تأدية الأمانة وإقامة العدل فى الأحكام ، وطاعه ولاة الأمر ، والرجوع إلى أحكام الكتاب والسنة عند التنازع فى شئ إذ يقول سبحانه ( إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً \* يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً )<sup>(٣)</sup> .

وتأمل كيف يحذرك من أن تعتدى على مال اليتيم ، أو تنظلم زوجاتك إن كن أكثر من واحدة ، وكيف يردك إلى زوجة واحدة إن خفت ألا تعدل بينهن وكيف يسوى بين ظلمك لهن وبين أكل مال اليتيم بالباطل إذ يقول تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً \* وإن خفتم ألا تقسطوا فى

(٢) الآية ٣٦ من سورة النساء .

(٣) الآيتان ٥٨ ، ٥٩ من سورة النساء .



اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (١).

وتدبر كيف يربينا القرآن الكريم على إقامة العدل بين الورثة بعد أن يبين نصيب كل منهم حتى لا تميز بهواك أحداً عن غيره ( آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً ) (٢) وليس لمخلوق أن يغير بهوى نفسه ما فرضه الله تعالى بعلمه وحكمته .

واعجب من طريقة القرآن الكريم فى حمل المؤمنين على احتمال الشدائد فى سبيل الله مع انتظار الفرج بعد الشدة ، استرشاداً بمن سبقوهم ، إذ يقول تعالى : ( أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ) (٣) .

واعجب كذلك كيف يبين قصورنا فى فهم الأمور على وجهها الصحيح الذى يعلمه الله وحده ولا نعلمه لا نطوئ الغيب عنا بما فيه من حكم وأسرار ينفرد بعلمها سبحانه ، فيقول جل

(١) الآية ٢ - ٣ من سورة النساء .

(٢) الآية ١١ من سورة النساء .

(٣) الآية ٢١٤ من سورة البقرة .

جلاله : ( كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون )<sup>(١)</sup> .

#### الرضا بالقضاء :

فلو أننا فهمنا ذلك حق الفهم لرضينا بما يجرى به قضاء الله علينا ، ولكننا فى واقعنا نشكو ونتبرم إذا وقع لنا ما نكره ، أو إذا لم ندرک ما نحب ، وقد تحملت أعصابنا من ذلك أعباء من ذلك أعباء مرهقة ، وهذه الأعباء المرهقة لم ترد عنا القضاء ، وإنما جرت علينا كثيراً من الأمراض الجسدية والنفسية .

#### التوكل :

وأكثر هذه الأعباء يأتينا من هم الرزق ، وقد كفله الله لعباده، بل ولكل دابة فى الأرض ، كما سبق القول ، وقد ورد فى السنة الشريفة أن الرزق يطلب الإنسان كما يطلبه أجله ، فما أسعد المتوكلين على الله فى أرزاقهم وأرزاق أبنائهم ومن وراءهم .

#### التفريط فى الطاعات :

ويعجب الإمام ابن عطاء الله السكندرى ، طيب الله مثواه ، من

---

(١) الآية ٢١٦ من سورة البقرة .

إقبالنا بكلياتنا وجزئياتنا على كسب أرزاق الدنيا ، وإدبارنا عن العناية لأمر الآخرة مع أن الله تعالى ضمن الأولى وكفلها ، وأخفى أمر الثانية ، ويرد تلك الظاهرة إلى انطماس البصائر ، فيقول رضى الله عنه :

( اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك ) .

ويتندر الإمام إبراهيم بن أدهم فى عناية الناس بتصحيح الكلام وإعرابه ، مع اتیان الأعمال السيئه الخاطئة ، فيقول رضى الله عنه :

(أعرابنا فى الكلام ولحنا فى الأعمال ، فياليتنا لحنا فى الكلام ، وأعرابنا فى الأعمال )

هوى النفس :

ويعجب شيخي العارف بالله سيدي الشيخ علي عقل من ان النفس تهوي الذي تهوي به ، ولا تهوي الذي تعلق به ، فيقول في حكمه الملهمه لوقتها دون تحضير او أعمال فكر ، وذلك من إلهام الله لأولياته ، وقد لمسناه بأنفسنا السنوات الطوال ، وكان أحد الحاضرين في مجلسنا قد سأله ان يأتي بقصيدة علي وزن البيت التالي وقافيته :

عجبا لها تهوي الذي تهوي به

دون الذي تعلق به في ذاتها

فكان فيما قال رضي الله عنه فوراً :

عجبا لها تهوي الذي تهوي به	كم عالم قد زل من نزعاتها
تنأى عن الاصلاح طول حياتها	وتواصل الإقبال في شهواتها
تدعي لتأدية الصلاة وإنما	شغلت بغير الله حين صلاتها
وقفت علي الدينار وحسن بلائها	فأمالها عن هديها وهاداتها
قد رحبت بالسيئات مريضة	وتضح إن دعيت إلي حسناتها
ضحكت علي جهالها فتوهموا	أن العلا والفوز في نزواتها
فنحا مسيلمة النبوة وانتهى	فرعون للتأليه من عثراتها
جهلت طريق الخير وادعت الهدي	كم تكثر الدعوي علي قريباتها
فأنصح لنفسك في الامور لعلها	قد ترزق الأنوار في سبحاتها
ترضي تسفلها لكل نقیصة	دون الذي تعلو به في ذاتها

تغير المسلمين :

ويتحسر السيد / محمد إقبال ، رحمه الله ، إذ لم يجد في المسلمين صورة الخلق المحمدي  
الموافق لتربية القرآن ، فيقول فيما ترجمه عنه إلي العربية صديقي الشيخ الصاوي شعلان ،  
زاده الله فضلا ، فيقول في تحسره :

طوفت في أرض الأعاجم	ثم في أرض العرب
لم ألق فيها المصطفى	ولكم رأيت أبا لهب

ويبين أمير الشعراء شوقي أهمية الأخلاق في حياة الأمم ، فيقول غفر الله له :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

عوداً إلى كتاب الله :

أيها الأعزاء : سقيتكم قطرات يسيرة من بحر القرآن الفرات الذي يتدفق معينه ، ولا ينضب أبداً وهو وجود بدرره علي الواردين والغواصين فهل آن لنا أن نرد هذا الشراب السائغ للشاربين ، ونتحلي بما علمنا ونبل به شوقنا إلي الله رب العالمين ، خاصة وأننا في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدي للناس وبينات من الهدى والفرقان ، أسأل الله لي ولكم العون والتوفيق ، واشكركم علي حسن استماعكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته